ثقافة الاعتدال والسلم المجتمعي والتسامح في منهج أهل البيت(ع)

أ.د.قحطان حميد كاظم العنبكي كلية التربية الأساسية/جامعة ديالى

المقدمة:

خلق الله الكون وفق منهج التنوع بما في ذلك الإنسان، والحيوان، والنبات، والجماد،واللغات، والألوان، والألسن والأديان، وقال نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم:(كلكم لآدم وآدم من تراب)،وهذا الاختلاف والتنوع سواء كان فطريًا كالأعراق والقوميات والشعوب والألوان﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**﴾[1]و﴿**وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ**﴾[2]،أو كان اختياريًا واكتسابيًا كانتخاب الدين،والفكر،والثقافة والسلوك،يدرك الإنسان عبر التنوع عظمة الخالق وجمالية الكون، وإثراء التجارب، فعبر هذا التنوع يستطيع الإنسان الاستفادة من نقاط قوة الآخرين واجتناب نقاط ضعفهم في بناء الصرح الحضاري، فضلًا عن معرفة قيمة التعايش السلمي، فعبر التنوع يستطيع الإنسان أن يدرك معنى التعايش والتسالم، وهو الفطرة والطبيعة البشرية المبنية على التفاعل لقضاء الحوائج وحل المشكلات بروح الاعتدال(الوسطية) والتسامح مع الآخر، باعتبار أن منطق العقل والدين يدعوان إلى الانسجام والاحترام المتبادل، وإن حكمة الله تعلى اقتضت جعل الخيرات في الكون تحت تصرف الجميع ﴿**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ**﴾[3]، ومن العسير على الإنسان التقوقع والإنزواء لاسيّما مع تلاشي الحدود، وانتشار العولمة، وجعل العالم قرية واحدة.

قسم البحث إلى مقدمة وخاتمة ومبحثين تناول المبحث الأول الاعتدال (الوسطية)في الفكر الإسلامي وجرى فيه: التعريف بالوسطية لغة واصطلاحًا، وفي القرآن والسنة النبوية، وأثر الوسطية في بناء السلم الاجتماعي، والوسطية في العلاقة مع الآخرين، والوسطية والاعتدال من صفات وخصائص النظم الاسلامية، ونحو

---

(1). من الآية(١٣)من سورة الحجرات.

(2). من الآية(٢٢)من سورة الروم.

(3).الآية(١٠)من سورة الرحمن.

استراتيجية لنشر فكر الاعتدال والوسطية ومواجهة الغلو والتعصب. وبين المبحث الثاني: السلم الاجتماعي والاعتدال في فكر ومنهج أهل البيت(ع) وجرى فيه تناول: مفهوم السلم الاجتماعي في فكر أهل البيت(ع)،وحب أهل البيت بين الغلو والبغض، والعلاقة مع الآخر في منهج الاعتدال(الوسطية)لدى أهل البيت(ع).

المبحث الأول

الاعتدال(الوسطية) في الفكر الإسلامي

أولاً: التعريف بالوسطية لغة واصطلاحاً ، وفي القرآن والسنة النبوية

جاءت كلمة(وسط) في اللغة بعدّة معانٍ، لكنها مُتقاربة في مدلولها. قال ابن فارس:(وسط): الواو والسّين والطّاء: بناء صحيح يدلّ على العدل والنّصف. وأعدل الشيء: أوسطه، ووسطه. قال الله عز وجل ﴿**أُمَّةً وَسَطا**﴾[٤].

وردت كلمة وسط ومشتقاتها في خمس مواضع من القرآن الكريم منها:

١. قوله تعالى: ﴿**حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ**﴾[٥].

٢. قوله تعالى:﴿**فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**﴾[٦].

٣. قوله تعالى:﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[٧].

٤. قوله تعالى: ﴿**قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ**﴾[٨].

---

(٤).من الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

(٥).الآية(٢٣٨) من سورة البقرة.

(٦).من الآية(١٨٩) من سورة المائدة.

(٧).من الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

الإسلام هو دين الوسطية والاعتدال، يقول تعالى في القرآن الكريم:﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾[٩].

والوسطية في أكثر التفاسير هي : التوازن المستقيم بين التفريط والإفراط ، بين الجمود والتسرع، بين التعصب والتسيب ، وفيها معنى العدل ، وهو أمر حميد ، يقول الله تعالى :﴿ **قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ**﴾[١٠]، أي قال أعدلهم ، والإسلام يرفض أن يكره الناس على الدخول في عقيدة لا يرتضونها فالإنسان – بعقله الذي وهبه الله إياه – عليه أن ينظر أي طريق يسلكه من طريقي الهدى والضلال ، وعلى المسلمين أن يبلغوا رسالة الإسلام إلى غيرهم[١١]،فإما أن يهتدوا ويختاروا طريق الإسلام، وإما أن يختاروا الطريق الآخر، لا إكراه عليهم في ذلك، وحسابهم عند الله تعالى في الآخرة، ونصوص الإسلام صريحة في عدم إجبارهم على الدخول فيما لا يؤمنون به، يقول الله تعالى﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾[١٢]، والمعنى – كما يقول ابن كثير في تفسيره: ((لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح جلى دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يُكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام ،وشرح صدره، ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيده الدخول في

([٨]).الآية(٢٨) من سورة القلم.

([٩]).الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

([١٠]).الآية(٢٨) من سورة القلم.

([١١]).الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، موقع الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة،تاريخ النشر (٣٠/٥/ ٢٠٠٣م)، http://www.yousefsalama.com

([١٢]).الآية(٢٥٦)من سورة البقرة.

الدين مكرهًا مقسورًا))[١٣].فالإسلام قد انتشر عن طريق الأخلاق، وبالقدوة الصالحة، والحكمة والموعظة الحسنة، هذا ما تحلى به التجار المسلمون يوم طافوا البلاد بأخلاقهم الكريمة وصفاتهم الطيبة ، فدخل الناس في دين الله أفواجا[١٤].

إن الحرية الدينية شيء شرعه وابتكره ديننا الإسلامي الحنيف قال تعالى:﴿ **لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ**﴾[١٥] ، هذا المبدأ لم يعرف إلا في كتابنا العظيم ، وإن مبدأ ﴿**لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ**﴾[١٦]، لم يعرف إطلاقاً في ملة أخرى. كانت أوروبا قبل القرآن وبعده ، وكان العالم كله يعيش في برك من الدم ، وفى صراع آثم حول إكراه الناس على العقائد حتى جاء القرآن الكريم يقول للناس﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ** ﴾[١٧].

والوسطية أو الاعتدال من مميزات أمة الرسالة، فهي التي تؤهلها لأداء الشهادة على الآخرين وأن يشهد لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾[١٨]وهي حالة محمودة وخاصية أساسية من خصائص هذا الدين عقيدة، وشريعة، ونظامًا خلقيًا، واجتماعيًا، وسياسيًا وحضاريًا ، ترتبط وتترجم خاصية أخرى هي خاصية التوازن وعدم الميل إلى إحدى طرفي المعادلة أي الإفراط أو التفريط.

وإذا كان التاريخ الإسلامي قد شهد حالات من الغلو أو الإفراط أو التفريط. فإن أمر الأمة في غالبه قد استقر على التوسط في جميع مجالات الحياة العقدية، والفقهية، والفكرية، والسلوكية والسياسية وفي العلاقة بغير المسلمين[١٩]. كما ان

---

(١٣).الإسلام دين الوسطية والاعتدال، المصدر السابق.

(١٤).المصدر نفسه.

(١٥).من الآية (٤١)من سورة يونس.

(١٦).الآية(٦)من سورة الكافرون .

(١٧). من الآية (٢٥٦)من سورة البقرة.

(١٨).من الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

(١٩).محمد يتيم، الوسطية والاعتدال، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث: http://www.fikercenter.com

الأمة الوسط هي أمة العدل ومهمة المجتمع الإسلامي هي القيام على القسط وإقامة العدل لقوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيّاً أَوْ فَقِيراً فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً**﴾[٢٠].

والوسطية هي توازن واستقامة،بل هي تعبير عن خاصية التوازن في جميع الأمور والمواقع: توازن بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الدين والدولة، وبين الذات والموضوع، وبين الفرد والمجموع، وبين المادية والمثالية، وبين الثابت والمتغير والقديم والجديد، وبين العقل والنقل وبين الحق والقوة وبين الاجتهاد والتقليد وبين الدين والعلم إلى آخر هذه الثنائيات. وهي مطلبًا ودعاء نردده في سورة الفاتحة كلما صلينا عندما نقول:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ**﴾[٢١].ووردت كلمة وسط في سياق عدة أحاديث نبوية شريفة ومنها: عن ابن سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:(يجيء نوح وأمته فيقول الله له: هل بلغت ؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته هل بلغكم ؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي: فيقال لنوح: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته، قال: وذلك قوله: ﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾[٢٢] قال: الوسط العدل، فتدعون فتشهدون له بالبلاغ ثم أشهد عليكم. فأمَّة محمد، صلى الله عليه وآله وسلم ممّن قال الله فيهم: ﴿**وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**﴾[٢٣] . وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((إنَّ في الجنَّة مائة درجة أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدَّرجتين كما بين السَّماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنَّه أوسط الجنَّة، أو أعلى

([٢٠]).الآية(١٣٥) من سورة النساء.

([٢١]).الآيتين(٦-٧) من سورة الفاتحة.

([٢٢]).من الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

([٢٣]).الآية(١٨١) من سورة الأعراف.

الجنة)). وقال الحافظ بن حجر: قوله: ((أوسط الجنة أو أعلى الجنة))المراد بالأوسط هنا: الأعدل والأفضل، كقوله تعالى:﴿ **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً**﴾[٢٤].

ثانياً: **أثر الوسطية في بناء السلم الاجتماعي**:

وبما أن المجتمع الإسلامي هو مجتمع عقدي أو مجتمع (إيديولوجي) وتتحدد العلاقات داخله على أساس أحكام الشريعة الإسلامية ومقاصدها وقواعدها الكلية ، فإن خصائص الوسطية في مجال العقيدة، والتصور، وفي مجال الشريعة والأحكام ، تصدق على نظرة الإسلام للبناء الاجتماعي[٢٥].

وإذا كانت الوسطية والتوازنية تعنيان صياغة إنسانية للمجتمع وذلك يعني الاعتراف بالجوانب الإنسانية جميعها في تآخ وتكامل،وكان من أبرز خصائص المنهج القرآني في علاج القضايا الاجتماعية والاقتصادية أنه لا يقيم البناء الاجتماعي، أو السياسية الاقتصادية على أساس الصراع بين الأفراد أو الطبقات. إنه قبل أن يضع القوانين، وبعد أن يرسي أساس الربوبية، يقيم دعامات أخرى إنسانية تشيع بين الناس أواصر الرحمة، والحب، والتسامح، والفضل، والتعاون ومراقبة الضمير وخشية الله وإلى غير ذلك من المعاني، وتتحدد معالم الصياغة الإنسانية للمجتمع السلمي في التصور الإسلامي في عدة جوانب منها[٢٦]:

١.إشباع الإسلام جوانب الإنسان جميعها – بالطرق الحلال – وتصعيد كل غرائزه وليس كبتها أو حرمانها بالرهبانية المبتدعة أو الزهد الكاذب.

٢.إعطاء الإسلام كل ذي حق حقه، في توازن وبلا إفراط أو تفريط، فللرجل حقه كإنسان وللمرأة حقها وللابن حقه، وللأب حقه، وللأم حقها وللضعيف حقه وللمريض

([٢٤]).من الآية(١٤٣) من سورة البقرة.

([٢٥]).محمد يتيم، المصدر السابق.

([٢٦]).المصدر نفسه.

حقه وللعاجز حقه، وللفقراء والمساكين واليتامى والمعوقين وأشباههم من المعوزين حقوق.

٣.إقامة التوازن بين حق الأفراد وحق الجماعة إذ ليس من حق المجتمع الإسلامي أن يستحل ثروات الأفراد أو يستبد بها..،فالظلم ظلم، والتسلط الظالم مرفوض في منطق العدالة الاجتماعية.

ثالثاً: الوسطية في العلاقة مع الآخرين

ومن أهم مجالات وتجليات الوسطية في العصر الراهن التزام المسلمين والحركات الإسلامية بالوسطية، والعدل في العلاقة مع غير المسلمين سواء كانوا من المواطنين أم لم يكونوا مواطنين. ومبنى الوسطية في هذا المجال عدم السقوط في الولاء المحرم شرعًا لمن يحاربون المسلمين ويصدونهم عن دينهم ويتخذونهم هزؤا، أو السقوط في الاعتداء على غير المسلمين من المواطنين أو من غيرهم ممن لهم حكم المعاهد مادام قد دخل إلى بلاد المسلمين غير محارب، وبناء على ((عهد)) وهو ما تترجمه اليوم القوانين والإجراءات المنظمة لدخول بلاد أخرى هي غير البلاد الأصلية للمسلم وللإقامة فيها[٢٧].

إن الأصل في علاقة المسلم مع غيره أنها مبنية على العدل والقسط بل أكثر من ذلك نجد الإسلام يأمر المسلمين بما هو أكثر من القسط أي بالبر الذي يعني الخير والفضل. ولقد جاءت هذه الوسطية وذلك التوازن في العلاقة مع غير المسلمين واضحين في قوله تعالى: ﴿**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ . إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾[٢٨]. وهذا البر والقسط مطلوبان من المسلم في علاقته بالناس والخلق كآفة، ماداموا مسالمين غير معتدين يقاتلونه في دينه،

([٢٧]).محمد يتيم، المصدر السابق.

([٢٨]).الآيتين(٨-٩)من سورة الممتحنة.

ويخرجونه من داره أو يظاهرون على إخراجه، وهو يشمل غير المسلمين أيا كان دينهم، أما أهل الكتاب: اليهود والنصارى فلهم أحكام أكثر تفصيلًا لما يليق بهم من البر كما أوصى القرآن بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن ﴿ **وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾[٢٩].

إن غير المسلم الذي لا يحارب الإسلام قد تكون مودته واجبة وصلته فريضة دينية، وذلك شأن الزوجة الكتابية وأهلها الذين هم أخوال أبناء المسلم وجدته وجده. ولاشك في أن الإسلام يعلي الرابطة الدينية على كل رابطة سواها، ولكن ذلك لا يعني أن يلقي المسلم بالعداوة إلي غير المسلم لمجرد المخالفة في الدين أو المغايرة في العقيدة، بل الأصل هو المودة والبر، والاستثناء – عندما تقوم دواعيه وأسبابه – أن يمتنع المسلم عن موالاتهم أو مودتهم،انتصارًا لدينه،وانحيازًا لأهل عقيدته[٣٠]. ومعنى ذلك أن العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين في المجتمعات الإسلامية هي بالأساس علاقات مواطنة، فالمسلم مثله مثل غير المسلم يربطه بالدولة عقد يرتب له حقوقًا ويلزمه بعدد من الواجبات. وقد تجلى هذا المعنى منذ اللحظة الأولى لتأسيس الدولة الإسلامية في المدينة، إذ كان من أوائل الأعمال التي قام بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، كتابة الصحيفة التي تنظم العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من سكان المدينة التي عرفت باسم ((صحيفة المدينة))[٣١].

وكان مما ذكرته هذه الصحيفة أن ((المؤمنين أمة من دون الناس))، وأن ((اليهود أمة مع المؤمنين))، وأن ((أهل الصحيفة بينهم البر دون الإثم))،وأنهم يكونون((يدًا على من دهم يثرب))،وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين))، وأن بينهم ((النصر والأسوة))وهو هنا بمعنى المساواة، وأنه((ما كان من حدث بين أهل الصحيفة أو أشجار يخاف فساده فأن مرده إلى الله والى محمد رسول الله))، وأنه

([٢٩]).الآية (٤٦)من سورة العنكبوت.

([٣٠]).محمد يتيم، المصدر السابق.

([٣١]).المصدر نفسه.

((لا يخرج من أهل المدينة أحد إلا بأذن محمد))، وأن أهل الصحيفة((يتعاقلون معاقلهم الأولى بالقسط بين المؤمنين والمعروف))إلى غير ذلك من الأمور التي ذكرت تفصيلًا في هذه الوثيقة والتي تجعل غير المسلمين المقيمين في دولة المدينة مواطنين فيها لهم من الحقوق مثل ما للمسلمين، وعليهم من الواجبات مثل ما على المسلمين، وهذه الصحيفة هي أول دستور مدون في التاريخ كله لم يسبق إلى مثله أحد ولم ينسج على منوالها أحد، إلى أن صنع الإنكليز بعد ثورتهم في عام(١٢١٥م) وثيقتهم التي سموها (العهد الأعظم)[٣٢].

وعلى أساس نصوص هذه الوثيقة النبوية مضت الحياة في المدينة المنورة إلى أن نقضت يهود العهود، فكانت مقاتلة اليهود وإخراجهم من المدينة على أساس نقضهم لعهدهم وخروجهم على ذلك الدستور لا على أساس مخالفتهم للمسلمين في العقيدة تماما كما كان يمكن أن يقاتل أي مواطن ولو كان مسلما آخر إذا بغى وأخل بمثياق المواطنة ومقتضياتها[٣٣].

رابعاً: الوسطية والاعتدال من صفات وخصائص النظم الاسلامية :

نجد ان النظم الإسلامية على أنواعها كآفة تمتاز بميزة التوسط والاعتدال، فمثلاً النظام الرأسمالي يبيح الملكية الفردية مطلقًا وأعطى الحرية الكاملة في استخدام جميع الوسائل لكسب المال كالربا مثلاً مما أدى الى تكدس المال عند جماعة معينين بينما بقيت المجاميع الكبيرة من الناس تشهد الفقر، أما النظام الاشتراكي فأنه يلغي الملكية الفردية ويراها عاملًا من عوامل افساد الدولة وتخريبها مما أدى الى تنصل الكثير من الناس عن تأدية الواجبات ، أما النظم الإسلامية فأنها لم تبيح الملكية الفردية بشكل مطلق الا ضمن مبادئ وقوانين كما انها لم تمنعها، ومن موارد الملكية الخاصة الميراث والوصية[٣٤].وتتلائم مع جميع الاوقات والازمان: ولعل

([٣٢]).محمد يتيم، الوسطية والاعتدال، المصدر السابق.

([٣٣]).المصدر نفسه.

([٣٤]).النظم الإسلامية: الموقع: http://elearning.uokerbala.edu.iq

السبب في ذلك يكمن ان مصدر هذه النظم هو الله سبحانه وتعالى؛ ولأن الله تعالى يتصف بكونه عليم خبير مقتدر وغيرها من صفات الكمال فان النظم التي تصدر عنه تكون من صفاته تعالى على عكس النظم التي تصدر من البشر التي تتلائم مع صفات البشر والتي يشوبها النقص والجهل، وتكون دوافعها أما مادية أو سلطوية أو غيرها أو قد تفيد بحسب واضعيها عرق معين أو طائفة أو قومية..،ولهذا دائمًا ما تحتاج النظم الوضعية إلى تغيير مستمر أما تعديل أو تبديل أو صياغة أو حذف[٣٥].ومن خصائص النظم الإسلامية الموازنة بين مصالح الفرد ومصالح الجماعة، فأي إنسان مسلم لا يشعر بأن هناك تعارض بين تحقيق مصالحه وبين مصالح المجتمع الذي يعيش فيه ، فضلًا عن الواقعية واليسر إذ أن قواعد النظم الإسلامية هي ليست أمور خيالية أو أمور لا يمكن تحقيقها[٣٦].

خامساً: نحو استراتيجية لنشر فكر الاعتدال والوسطية ومواجهة الغلو والتعصب

إن استراتيجية استيعاب فكر الغلو والتطرف تحتاج إلى مقاربة شمولية يتداخل فيها البعد العلمي والتربوي مع الأبعاد الاجتماعية،والاقتصادية، والسياسية والحقوقية، وتتضافر فيها الجهود الرسمية بالجهود الشعبية والمدنية؛ لذلك فإن مواجهة الغلو والتطرف يتوجب أن يقوم على المحاور الآتية:

١. جهد تربوي وتكويني وتعليمي يقوم على ترسيخ ثقافة ومنهج الوسطية والاعتدال من خلال ترسيخ أنواع الفقه الآتية:

أ. فقه الأولويات: فالاختلال على هذا المستوى يؤدي في نظر أهل الغلو لأمور الدنيا أو أمور الدين إلى تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم، بينما يعلمنا صاحب الرسالة عليه أزكى الصلوات أن الأعمال درجات، وأن القضايا مستويات.وتقديم ماحقه التأخير أو تأخير ما حقه التقديم إخلال يعالجه هذا الفقه.

([٣٥]).المصدر نفسه.

([٣٦]).المصدر نفسه.

ب. فقه الموازنات: وقوام هذا الفقه الموازنة بين أقدار المصالح والمفاسد، فإذا حدث تعارض بين المصالح والمفاسد وجبت الموازنة بحيث يكون درء المفسدة مقدمًا على جلب المصلحة وبحيث تكون الموازنة بين خير الخيرين من أجل تحصيل أعظمهما وتفويت أدناهما وبين شر الشرين من أجل تحصيل أدناهما وتفويت أعظمهما.

ج. فقه المقاصد: وقوام هذا الفقه النظر في علل الحكم وتجنب النظرة الظاهرية في نهج النصوص، فالقرآن جاء بالأحكام معللة سواء تعلق الأمر بالعبادات أو بالمعاملات، ومن ثم وجب البحث دومًا عن مقصود الشرع من الحكم الذي ساقه. وقد حددها الأصوليون في خمسة أو ستة أصول وهي: حفظ النفس والعقل والدين والعرض والنسل والمال ومنهم من زاد على ذلك ومن نقص.

د. فقه النصوص: وهو فقه يقوم على التمييز بين الظني والقطعي، وبين المحكم والمتشابه، وبين ما يحتمل تفسيرات عدة، وما لا يحتمل إلا تفسرًا واحدًا، والتمييز في السنة بين ما هو للتشريع وما ليس للتشريع، وما هو للتشريع الدائم والتشريع المؤقت[٣٧].

هـ. فقه المآلات: إذ لا يكفي معرفة الحكم الشرعي واستخراجه، بل لا بد من استحضار مآلات هذا الحكم في الواقع وهل يحقق مقصود الشارع من تنزيله أم يترتب عليه عكس مقصوده .

وهناك أنواع من فقه الواقع عاصمة من السقوط في الغلو أو التسيب:

وفقه الواقع هو الفقه الذي يمكن من تنزيل الأحكام الشرعية ومقاصدها مراعاة لأولويات واستحضارا للمقاصد وللمآلات،ومراعاة أيضا للموازنة بين المصالح والمفاسد. ويشمل هذا الفقه على المستوى السياسي اليوم عدة أنواع من الفقه والسنن، ومن تلك السنن سنة الأجل المسمى: ومعنى ذلك أن للأمم والدول أعمار تاريخية وأنه تتحكم فيها قوانين اجتماعية مثلما تتحكم في الوجود البشري الفردي قوانين

([٣٧]).محمد يتيم، المصدر السابق.

بيولوجية وفسيولوجية: قال تعالى: ﴿ **لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾[٣٨]. يقول السيد محمد باقر الصدر(رحمه الله) في مقدمات في التفسير الموضوعي للقرآن:((نلاحظ في هذه الآية الكريمة أن الأجل الفقه بالتاريخ السياسي الإسلامي: لأخذ العبر بأسباب السقوط والنهوض وأسباب الفتن السياسية ودروسها وعبرها وضعف هذا الفقه يؤدي إلى التسرع والاستدراج إلى الغلو والتطرف)). والفقه بالتاريخ السياسي الإسلامي المعاصر: ونقصد بالأساس دراسة التجارب السياسية الإسلامية المعاصرة والاعتبار بأسباب الإخفاق والنهوض، والوقوف عند عوامل وأسباب الانتكاس وعوامل النجاح في التجارب الحركية والسياسية والحزبية المعاصرة. وضعف الوعي التاريخي وضعف الاعتبار بدروس التاريخ من العوامل التي تهيئ القابلية للاستدراج إلى المواقف المغالية[٣٩].

٢. ترسيخ نهج دعوي وحركي تشاركي غير إقصائي:

ونقصد بذلك أن تنطلق الحركة الإسلامية بعد اضطلاعها بمسؤولياتها الدعوية، والتربوية والتكوينية الذي تشتغل فيه من مبدأ الدعوة والعمل على المحافظة على المكتسبات واعتبار جهدها – على أهميته ودوره الريادي في المجتمع – مجرد لبنة من لبنات الإصلاح وإشاعة نهج الاعتدال والوسطية في المجتمع كله، وفي توجهات الدولة والأمة بمختلف أطرافها ومكوناتها، ولذلك فإن استراتيجية مواجهة الغلو والتطرف وجب أن تقترن بالدعوة إلى إصلاح شامل يمس المستويات الآتية:

أ.الدعوة إلى تعزيز دور العلماء ومكانتهم في المجتمع، ودعوة هؤلاء إلى القيام بواجبهم الدعوي والتربوي بإقدام ودون إحجام مع تعزيز وعيهم بالتحديات المحيطة وبمختلف أنواع الكيد التي تتربص بهم الدوائر وتسعى إلى الإيقاع بهم لدى الدولة من أجل منعهم من الاضطلاع بدورهم الدعوي والتربوي والتكويني[٤٠].

([٣٨]).من الآية(٤٩)سورة يونس.

([٣٩]).محمد يتيم، المصدر السابق.

([٤٠]).المصدر نفسه.

ب.تشجيع كل الخطوات والمقاربات التي تهدف إلى توسيع نطاق الحقل الديني انطلاقًا من مبدأ وحدة مكونات الحقل الديني الشعبية والرسمية، والانطلاق من تصور تكاملي لعمل هذه المكونات لا من مقاربة تنافسية أو قائمة على الصراع على اعتبار أن مجابهة الغلو والتطرف يحتاج إلى مقاربة شمولية.

ج.الدعوة إلى ترشيد الإعلام حتى لا يستفز مشاعر المواطنين ويشعرهم أن الهدف هو مسخ الهوية والأخلاق الإسلامية، وتشجيع كل المبادرات الرامية إلى الارتقاء بالدور التربوي والتأطيري للإعلام، وإلى تهذيب البرامج الإعلامية والأفلام ومواجهة بعض التوجهات الهدامة داخله[٤١].

د.إصلاح سياسي يسهم في تعزيز المشاركة السياسية الشعبية ويفسح المجال لكافة القوى في نطاق الشرعية الدستورية والقانونية وفي مقدمة ذلك كله إقرار حق الحركات الإسلامية في التنظيم والعمل السياسي،ومعاملة أعضائها كمواطنين داخل المجتمع لهم من الحقوق وعليهم من الواجبات. وذلك سيسهم إلى حد كبير في تخفيف الاحتقان القائم اليوم أو على الأقل سيساهم في محاصرة فكر الغلو والتطرف ويسهم في إفقاده أحد مبررات وجوده.

هـ.الدعوة والعمل من أجل إصلاح اقتصادي واجتماعي يقلص من عوامل الفقر والتهميش ويؤدي إلى التقليل من التفاوت الطبقي الفاحش الذي يورث الحقد والكراهية الطبقية ويولد لدى البعض الرغبة في الانتقام[٤٢].

و.العمل على محاورة مجموعات الغلو ودعوة السلطات إلى ذلك اعتبارًا بتجارب دول عربية في هذا المجال(التجربة المصرية مثلًا) ذلك أن المنطق والحرص على مصلحة الوطن يملي علينا أن يكون أول ما ننادي به هو محاولة فتح الحوار فالغلو

([٤١]).محمد يتيم، الوسطية والاعتدال، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث:
http://www.fikercenter.com

([٤٢]).المصدر نفسه.

في الدين هو قبل كل شيء قضية علمية فكرية ، والمقاربات الاستئصالية والأمنية قد تنجح في تقليم جذوع شجرة الغلو أو القضاء عليها إلى حين ولكنها لن تستطيع القضاء على شروط إنتاج الغلو ومسبباته[٤٣].

المبحث الثاني

السلم الاجتماعي والاعتدال في فكر ومنهج أهل البيت(ع)

أولاً: مفهوم السلم الاجتماعي في فكر أهل البيت(ع)

التعايش أو السلم الاجتماعي وفق المفهوم الإسلامي، هو الذي يدل على وجود أرضية مشتركة بين الأطراف والبحث عن الحقيقة الموجودة في ثنايا الكليات. وقد أكدت روايات أهل البيت(ع)على التعايش، يقول الإمام محمد الباقر(ع):((صلاح شأن الناس التعايش)) وإن شخصًا دعا بحضور الإمام علي بن الحسين(ع) قائلًا: ((اللهم أغنني عن خلقك))، فلما سمع الإمام كلامه رد عليه قائلًا: ((ليس هكذا الناس بالناس، ولكن قل: اللهم أغنني عن شرار خلقك))، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من قبل:((رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كل أحد بر وفاجر))[٤٤].

أقر الدين الإسلامي الحنيف مبدأ التعايش لعالميته ورحمته﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾[٤٥]،وسعة حرياته﴿**يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾[٤٦]، وإقراره بحقوق الآخرين لاسيّما الدينية، والنهي عن مصادرة تلك الحقوق ﴿**لَا إِكْرَاهَ فِي**

---

(٤٣).المصدر نفسه.

(٤٤).صاحب مهدي، نهج أهل البيت عليهم السلام وثقافة التعايش، موقع الشيرازي نت: http://www.alshirazi.net/maqalat

(٤٥).الآية(١٠٧)من سورة الأنبياء.

(٤٦). من الآية(١٥٧)من سورة الأعراف.

الدِّينِ﴾[٤٧]، وبطلبه من الناس تحري الحقيقة، وهذا التحري والبحث والتمحيص يقتضي التعايش – ولو بنسبة ما – ولحكمة الله سبحانه فقد علق الجزاء بقسميه ثوابًا وعقابًا بالآخرة، واعتبار أن الدنيا دار بلاء وامتحان، فهذا التعليق والاعتبار يمنح الإنسان مساحة كبيرة من التسالم والتعايش والألفة والمحبة[٤٨].

ويمكنا القول أن التعايش له موضوعية وطريقة، باعتباره حسن بذاته، وكونه وسيلة لتحقيق أمور أخرى صالحة بذاتها كالحرية، والعدالة ومعرفة الحقيقة، فالناس صنفان على ضوء كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)لمالك الأشتر:((فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وَإِمّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ))[٤٩].

ومن الأهمية بمكان، العمل لأن تكون لنا إرادة حقيقية وجدية لنشر فكر أهل البيت وثقافة التعايش والتسامح مع الآخر من مبدأ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته))، فالإرادة هي الأساس لكل حركة تغيير وإصلاح عبر التاريخ ولعامل الإرادة قوانينه وأنظمته الذاتية من الحس بتحمل المسؤولية نفسيًا، واجتماعيًا ودينيًا ومن إرادة التحدي، وعلينا إما أن نجعل من العراق الذي تضمن فيه حقوق كل المواطنين بلا استثناء نواة لتوحيد العالم الإسلامي كما فعل (بسمارك) في توحيد ألمانيا عبر ترويج المصالحة بين الطوائف، والقضاء على بؤر التوتر، وإعادة بناء الثقة أو التركيز على نشر فكر وثقافة التسامح واحترام الآخر لدى أهل البيت (ع) في أنحاء العراق جميعها عبر وضع خطة علمية، يشترط فيها إعادة المناهج الدينية(المعتدلة) إلى المدارس وكتابة مادة التاريخ على أساس وطني[٥٠]، والعمل لإفشال مخططات

([٤٧]). من الآية(٢٥٦)من سورة البقرة.

([٤٨]).صاحب مهدي، نهج أهل البيت عليهم السلام وثقافة التعايش، موقع الشيرازي نت:
http://www.alshirazi.net/maqalat

([٤٩]).الشيخ باقر شريف القرشي ، شرح العهد الدولي للإمام علي عليه السلام لواليه مالك الأشتر على مصر، موقع في رحاب نهج البلاغة الالكتروني : http://arabic.balaghah.net

([٥٠]).صاحب مهدي، المصدر السابق.

الأعداء من خلال كشفها في مختلف الوسائل والأساليب، وتوسيع قاعدة فكر التسامح وقبول الآخر لتشكل قوة مؤثرة في الغرب يقوم بالتنسيق والتحالف تارة والضغط تارة أخرى لضمان حقوق المسلمين في العالم،والدعوة لعقد مؤتمرات وندوات في البلدان التي يتواجد فيها أتباع أهل البيت (ع)، كأقليات – حسب الأماكن – لبحث آلية النهوض في كل بلد على حد باعتبار أن لكل بلد خصوصيته وتقاليده وطرق تفكيره واهتماماته وأولوياته، فضلًا عن تأسيس منظمة أهل البيت(ع) لحقوق الإنسان معترف بها دوليًا ولها فروع في البلدان وتتعاطى مع المنظمات الأخرى، وإنشاء آلية للتعاطي مع الشكوى والانتهاكات التي يتعرض لها محبي أهل البيت(ع) في العالم ويكون من حق هذه المنظمة الحكم على ما تفعله الحكومات ضدهم، ودفع عجلة الحوار السياسي بين فكر أهل البيت(ع)والدول الغربية لرفع الشبهات التي تطرح هنا وهناك لاسيّما المتعلقة بالغلو، والتطرف والإرهاب[٥١].

وهناك سؤال يحتاج إلى إجابة وهو لماذا فكر أهل البيت (ع)؟ والجواب بالآتي[٥٢]:

١. أن فكر أهل البيت(ع) يسعى لإيجاد تيار الاعتدال في العالم الإسلامي وبعبارة أخرى باستطاعة فكر أهل البيت عقلنة المشروع الإسلامي ودفعه إلى الوسيطة.

٢. أن التمايز الديني لا يؤثر في الاحترام المتبادل، ومكارم الأخلاق وتكافل الحقوق الإنسانية.

٣. أن فكر أهل البيت(ع) يستوعب الشعوب وثقافاتها وكذا القوميات لذا نشاهد أتباع أهل البيت ينتشرون في جميع القارات أي إن له ديناميكية خاصة تتفاعل مع المتغيرات المختلفة.

ويلزم التركيز على المفاهيم الحيوية للإسلام كالعدل، والسلام، والمحبة ، والتعايش، ومفهوم الحياة، واحترام الحقوق، والقيم الروحية والأخلاقية، واستيعاب

([٥١]).المصدر نفسه.

([٥٢]).المصدر نفسه.

معارف الشعوب أي ديناميكية تطور فكر أهل البيت(ع) وتفاعلها مع الشعوب. كما يجب تخصيص مساحة زمنية في المؤسسات الإعلامية (إذاعات، قنوات فضائية، مواقع إنترنت) لحمل هموم هذا الفكر والتبليغ به، ويحتاج ذلك إلى عقد جلسات تنسيقية بين هذه المؤسسات[٥٣].

إن فكر أهل البيت(ع)يمتلك مفتاح تقدم الإنسانية، وسعادتها، ويتعامل مع الحقائق، ويجمع بينها وبين مثالية الأخلاق، ويقود الإنسان إلى الروحانية الحقيقية، من خلال الأدعية الواردة عن أهل البيت(ع)، ونشر الأحاديث، والروايات، وترجمتها إلى اللغات العالمية ولاسيّما ذات البعد العقائدي، والتربوي، والاجتماعي والعلاقاتي، ودعوة الحقوقيين العالميين لدراسة حقوق الإنسان في فكر أهل البيت(ع) عبر المؤتمرات والندوات،ودراسة انعكاسات الإرهاب على وضع أتباع أهل البيت(ع) والاستفادة من تجارب الآخرين في جانب نشر الدعوة الإسلامية التي تنسجم مع قيمنا ومبادئنا الإسلامية والإنسانية[٥٤].

ثانياً: حب أهل البيت (ع) بين الغلو والبغض

الغلوّ في اللغة : هو مجاوزة الحدّ والخروج عن القصد[٥٥]، قال تعالى :﴿ **يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ**﴾[٥٦]. والغلوّ في الاصطلاح : هو مجاوزة الحدّ المعقول والمفروض في العقائد الدينية والواجبات الشرعية . والغالي عند

([٥٣]).المصدر نفسه.

([٥٤]).المصدر نفسه.

([٥٥]).المصدر نفسه.

([٥٦]).من الآية(١٧١)من سورة النساء.

الشيعة الإمامية : من يقول في أهل البيت(ع) ما لا يقولون في أنفسهم كما يدّعون فيهم النبوة والألُوهية[٥٧].

مما لاشك فيه أن الاعتدال في حبّ أهل البيت(ع) يقع بين الغلو والبغض ، وقد نبّه النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة الهداة (ع) على هلاك الغالين والمبغضين ونجاة المعتدلين في حبهم عليهم السلام. قال أمير المؤمنين عليه السلام:((قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم : فيك مثلٌ من عيسى، أبغضته اليهود حتى بهتوا أُمّه ، وأحبّته النصارى حتى أنزلوه بالمنزلة التي ليس به)). ثم قال عليه السلام:((يهلك فيَّ رجلان: محبّ مفرط يقرظني بما ليس فيَّ ، ومبغض يحمله شنآني على أن يبهتني))[٥٨].

وعليه فلابدّ من بيان منازل حبهم عليهم السلام ليتسنى لنا الامساك بالنمط الأَوسط والنمرقة الوسطى التي بها يلحق التالي وإليها يرجع الغالي .

قال الإمام جعفر الصادق(ع):((لعن الله من قال فينا ما لا نقوله في أنفسنا، لعن الله من أزالنا عن العبودية لله الذي خلقنا ، وإليه مآبنا ومعادنا، وبيده نواصينا))[٥٩].

ثالثاً: العلاقة مع الآخر في منهج الاعتدال(الوسطية)لدى أهل البيت(ع)

تعد مسألة العلاقة مع الآخر، والأنا والآخر، واستقبال الآخر، ومفهوم بناء مجتمع جديد بقيم جديدة، وسبل صياغة الهوية، وما يتعلق بالعولمة وتحديات اشكاليات القرن الحالي، وهذه تعد من المسائل المصيرية التي تمتلك سياقات متعدّدة، تاريخيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، حيث أخذت صورًا متنوعة، دخلت الفكر، واحتلّت مساحات في الذاكرة، وفي ثنايا الثقافة والحضارة وذلك ؛ لأن الإنسان بوصفه كائنًا

---

(٥٧).موسوعة أنصار الحسين: http://www.ansarh.com/maaref_details.

(٥٨).المصدر نفسه.

(٥٩).المصدر نفسه.

اجتماعيًا، مضطرًا لإقامة علاقة مع غيره من البشر، سواء كان هذا الغير إيجابيًا أم سلبيًا.

ومن الواضح أن عصرنا الذي نعيش فيه يشهد من جانب أكبر تحدّيات المدارس الوضعية المادّية للفكر الإسلامي وثقافة الوحي، وقد بلغ الصراع الفكري والحضاري بين الإسلام والآخر السلبي أوجًا لم يسبق له مثيل فيما عرفناه من التاريخ. ومن جانب آخر، يشهد عصرنا صحوة إسلامية زاخرة بالعطاء، مبشرة بمستقبل للبشرية زاهر بنور الوحي. ويتطلب هذا كله من المفكرين من أبناء الاسلام المخلصين أن يشيدوا أسسًا علمية ومناهج معتمدة على دراسات معمقة حول موضوع العلاقة مع الآخر، وكيفية الحوار معه، وذلك بالتصدّي للتحدّي المضاد من جانب، وعرضًا للأطروحة الإسلامية التي تستجيب لتطلعات الإنسان نحو حياة مشرقة بنور العدل والاسلام عامرة بدفء الفضيلة والتقوى من جانب آخر. ولا يتم ذلك، إلاّ بالتفاهم بين شتّى فصائل الفكر الإسلامي وفتح باب الحوار بين بعضها والبعض الآخر[٦٠].

كثيرون هم الذين يطرحون مسألة العلاقة مع الآخر على طاولة البحث العلمي، ناسين أو متناسين البحث عن العلاقة مع الذات أولا، والتي تكون بمثابة المقدّمة للعلاقة مع الآخر. وسوف نشير بإيجاز إلى أهم مسألتين لهما صلة بالعلاقة مع الذات[٦١]:

١ . تطابق القول مع الفعل: إنّ تطابق القول مع الفعل كلما قلّت الفجوة بينهما وأصبح الفرد أكثر ارتياحًا مع نفسه في تطابق قوله مع فعله، كلما كان أكثر انسجامًا في علاقته مع الآخر.

---

(٦٠).فارس الحسّون، العلاقة مع الآخر في ضوء الوسطية في الإسلام، مركز الأبحاث العقائدية: http://www.aqaed.com

(٦١).المصدر نفسه.

٢ . معالجة الاضطراب النفسي: من العوامل التي تتوقف عليها مسألة العلاقة مع الآخر، هي الاضطراب النفسي، الذي يعدّ البحث فيه من مسائل العلاقة مع الذات. والاضطراب النفسي يسبب الخلل بين الذات والآخر، وكان للتقدّم التكنولوجي أسبابه الواضحة في مضاعفة نسبة الاصابة، والتي كانت نتيجة هذا التطور على حساب العلاقات الإنسانية.

كما بات الحوار مع الآخر من أوليات المصاديق الخارجية للعلاقة مع الآخر، لأنه الأداة الوحيدة التي تقرب وجهات النظر بين المختلفين وتعرف بعضهم على بعض وتدفع الكثير من الابهامات.

إن العلاقة مع الآخر لم تكن صراعًا دائمًا، كما أنها لم تسكن دائمًا في بيت الحوار، وهذا هو الذي يعكس طبيعة العلاقة التاريخية بين الشرق والغرب والشمال والجنوب، كل على صعيد، دون أن نفلت جانبًا منها على الآخر، ودون أن نذهب إلى تشاؤم مطلق يكدس الصراع، أو تفاؤل شامل يعزز الحوار. ومع التأكيد على الخصوصيات والهويات الثقافية في القرن الحادي والعشرين في مواجهة هجمات العولمة والنمذجة، أو صيحات التفوق الحضاري، فإن الحاجة إلى الانفتاح دون الاستلاب، والتواصل دون الانبهار، تظل قائمة بيننا وبين الآخر[٦٢].

ونحن كمسلمين لا نبدأ العلاقة مع الآخر بإلغائه، بل على العكس تمامًا الإسلام يطلب منّا أن نتعرف على الآخر ونتواصل معه، وأن نقدّم له أفكارنا ونناقشه بها، ويتمثل ذلك جلياً بالرجوع إلى القرآن الكريم وسيرة النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار(ع).إن الاسلام لم يطلب من أهل الكتاب إلاّ أن يعبدوا اللّه، وذلك حين قال تعالى: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ**﴾ [٦٣]، يعني الالتزام بالمتفق عليه بين الأديان السماوية، وهو

([٦٢]).المصدر نفسه.

([٦٣]). من الآية(٦٤) من سورة آل عمران.

عبادة اللّه، ثم يبدأ الحوار معهم في الأمور التفصيلية الأخرى، فهي دعوة إلى الاقتراب والحوار.

الإسلام نادى بالمحبة حين دعى الآخر فيما قال: ﴿**تَعَالَوْا إِلَى**﴾، وذلك لأن الإسلام منطلق علاقته بالآخر تقوم على محبة هذا الآخر وجلب الخير له، وليس على كرهه أو تمنّي الشر له. لكن هذا الآخر هل يتعامل مع الإسلام بمثل ما تعامل الإسلام معه؟ أم أنه يريد من الإسلام والمسلمين أن يبقوا دائمًا في عداد العالم الثالث في أفكارهم وثقافتهم واقتصادهم وحتّى صناعتهم(٦٤).

وهكذا إن الحوار يُعد من أهمّ العوامل المؤدية إلى توسيع آفاق الرؤية واثراء الرصيد المعرفي بالمعلومات الجديدة وتخطّي الحواجز الموجودة بين الذين يختلفون معًا في الرأي، لأنّ فيه يكتسب كل من طرفي الحوار– عن طريق تبادل الرأي وتلاقح الفكر – الرؤية الواضحة عن فكر الآخر، فيؤدي ذلك إلى التفاهم والتقارب الفكري بين الطرفين وشعور كل منهما بأن الآخر يساعده للوصول إلى الصورة الكاملة عن الحقيقة. والسبب في ذلك هو أن كل إنسان يشاهد الواقع من زاوية معينة، فلهذا قد يرى الإنسان حين رؤيته إلى الحقائق مالا يراه الآخر، وفي الحوار تتوجّه الجهود ويتم التعاون بين الطرفين ليرى كل منهما صاحبه الواقع من زاوية أخرى، ويقوم كل منها – على قدر وسعه – بتصحيح أفكار المقابل وتعديل صورته الذهنية عن الحقيقة وإزالة ما قد التبس عنده من مفاهيم، وبهذا تكتمل صورة الحقيقة عند الطرفين ويشعر كل منهما أنه قريب من الآخر نتيجة التعاون الذي أجروه معًا لاكتساب الشمولية في الرؤية.

ومن الأهمية بمكان، إيجاد سبل لصيانة الحوار من الفشل إذ إن الاختلاف من شأنه أن يوفر الأجواء لتكوين العداوات وتأجيج نيران الحقد والضغينة في القلوب، فلهذا ينبغي في الحوار – لكونه سببًا لاجتماع المختلفين في الآراء – أن يراعي كل

---

(٦٤).فارس الحسّون، المصدر السابق.

من الطرفين الضوابط التالية، لئلاّ يتحوّل الحوار إلى ساحة سجال وعراك ومشاجرات كلامية[٦٥]:

١. تحديد مساحة مشتركة في الحوار من أجل الوصول إلى لغة مشتركة يمكن من خلالها التفاهم حين تبادل وجهات النظر، والمبادرة إلى اقناع الطرف المقابل على ضوء مبناه وبما ألزم به نفسه.

٢. ضبط الغضب والسيطرة على كل انفعال من شأنه أن يسلب قدرة الإنسان على التفكير بوضوح ويدفعه إلى الخروج عن حالة التوازن والاعتدال في الكلام والتصرفات.

٣. إدراك طرفي الحوار بأنّ الحوار ليس ساحة حرب أو معركة من أجل تأكيد الذات والتغلب على الآخرين، بل هو ساحة تعاون مشترك من أجل اكتشاف الحقيقة، فلهذا لا يشترط في الحوار أن يكون فيه غالب ومغلوب في نهاية المطاف، بل المطلوب أن يبيّن كل من الطرفين وجهة نظره للآخر، ليوسّع بذلك آفاق رؤيته إلى الحقائق.

٤. خلق أجواء ملؤها الثقة المتبادلة بين الطرفين، وإقامة علاقة طيبة ومتينة مع المقابل بحيث يكون الطرفان قادران على فتح المغلق في أنفسهما وأن يتكلّما بحرية كاملة دون تحفّظ.

٥. التفريق بين الفكر الضال والمنحرف وبين من يحمل هذا الفكر في ذهنه، والانطلاق من منطلق محبة الطرف المقابل في الحوار كإنسان كرّمه اللّه تعالى على سائر خلقه، والسعي من أجل انقاذه من الفكر المنحرف العالق بذهنه، لأنّ الذي يرى المحاور أو الإنسان المتخبط في أوحال الضلال عدوًا وخصمًا له، لا يستطيع نفسيًا أن يقدّم له الخير، ولا يستطيع أن يكون مهتمًّا بهدايته وارشاده إلى سواء السبيل، بل يكون همّه القضاء عليه والتعريض الدائم به وتجريحه والاطاحة بكيانه وعدم إرادة الخير له.

([٦٥]).المصدر نفسه.

٦. الابتعاد عن استخدام المغالطة والمراوغة وجميع الأساليب غير الموضوعية، من قبيل: عدم مراعاة وحدة الموضوع، التلاعب بالألفاظ، الخلط بين المفاهيم والالتجاء إلى التأويلات الفاسدة والاستشهاد بالاقتباسات المبتورة والمشوّهة عن الواقع . كما أن احتمال ما عند الآخر من حق في الحوار إذ إنّ كل واحد من طرفي الحوار إذا حضر على طاولة الحوار مع الآخر وهو ينظر إلى نفسه أنه الحق المطلق، وغيره الباطل المطلق، وهذا يعني أنه حكم على نتيجة الحوار قبل حدوثه، فإن أمثال هكذا حوار سوف لا يكون إلاّ مجادلة ومماطلة، لا يمكن أن يوصل إلى نتيجة[٦٦].

ويمكن أن نجعل ما روي عن الإمام جعفر الصادق(ع) أساس البناء للعلاقة مع الآخر، وذلك حين قال(ع):((لا يكون المؤمن مؤمنًا حتى يكون كامل العقل، ولا يكون كامل العقل حتّى يكون فيه عشر خصال..، العاشرة، وما العاشرة: لا يلقى أحداً إلاّ قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى. وآخر شرّ منه وأدنى. فإذا لقي الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به. وإذا لقي الذي هو شرّ منه وأدنى، قال: لعلّ شرّ هذا ظاهر وخيره باطن. فإذا فعل ذلك، علا وساد أهل زمانه))[٦٧].

كما أن هناك العلاقة مع الآخر والتقية إذ إن التقية قبل أن تكون مفهومًا تشريعيًا يعتمد على القرآن والسنة، فهي مسألة وجدانية يقرّها العقل والفطرة. التقية بمفهومها الخاصّ عند مختلف المذاهب الإسلامية، وبمفهومها العام عند مذهب أهل البيت(ع)، هي نوع من أنواع العلاقة مع الآخر، وتبيين لطرح الوسطية في الإسلام للعلاقة مع الآخر[٦٨]. الآخر الذي يخالفنا في الرأي، إما أن يكون موضوعيًا في البحث والخطاب الديني، متفهمًا لشروط الحوار، وله ثقافة رفيعة المستوى في

([٦٦]).المصدر نفسه.

([٦٧]).الشيخ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي: الأمالي،ط١، دار الكتب الإسلامية، ج١، ص١٥٢.

([٦٨]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

استيعاب من خالفه الرأي، فهذا النوع من البشر تكون معه التقية بمفهومها المداراتي والمقابلة بالمثل والتأكيد على احترامه، وإن الاختلاف معه في الرأي لا يوجب القطيعة، ولابدّ من ترك المنفرات في ذلك. روي عن الإمام جعفر الصادق(ع) أنه قال:((رحم اللّه عبدًا اجترّ مودّة الناس إلى نفسه، فحدّثهم بما يعرفون، وترك ما ينكرون))[٦٩].

والآخر الذي يخالفنا في الرأي، الذي بيده القدرة والسطوة، ولا يتسم بالموضوعية في قبول من يخالفه في المعتقد، ويستعمل ما عنده من قدرة وسلطة لفرض معتقده ورأيه على من خالفه، فهذا النوع من البشر تكون التقية معه بمفهومها الحقيقي الذي لأجله شرّعت التقية[٧٠].

إذن، التقية هي نوع من المداراة في المعاملة مع الآخر السلبي، والآخر صاحب القدرة على إيصال الأذى باستعمال العنف، وليست هي تنزل عن المعتقد أو تركه وتغييره. وبناءً على هذا، فالتقيّة مسألة عقلية وجدانية عامة لا تختص بدين دون آخر أو معتقد دون غيره، فهي مسألة وجدانية يستعملها الكل في حالات معينة ومواقف اضطرارية موقتة إلى أن يرتفع المانع. روي عن رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم)أنه قال:((إن اللّه يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه))[٧١].

وبما أن أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم مرّوا بظروف عسيرة جدًا، وواجهوا أشدّ أنواع العنف والإرهاب الذي لم تشهده أي فئة أو مجموعة؛ لذا تجد اهتمامهم الكبير بموضوع التقية، وتقنين هذه المسألة والتأكيد عليها وتبيين ضوابطها، ويتبيّن ذلك جليًا من خلال مئات الأحاديث المروية بالطرق الصحيحة عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأطهار(ع)، والتي سننتقي بعضها:

([٦٩]).الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم ،ص٢٥،ج٨٩.

([٧٠]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

([٧١]).السيد المرتضى، علي بن الحسين: المحكم والمتشابه،ص٣٦.

١. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((رفعت عن أمّتي أربع خصال: ما اضطرّوا إليه، وما نسوا، وما أكرهوا عليه، وما لم يطيقوا، وذلك في كتاب اللّه[٧٢]: ﴿**رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ**﴾[٧٣]، وقول اللّه: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[٧٤].

٢. قال الإمام محمد الباقر(ع): ((التقية في كل ضرورة، وصاحبها أعلم بها حين تنزل به))[٧٥].

٣. قال الإمام محمد الباقر(ع): ((إنما جعلت التقية ليحقن بها الدم، فإذ بلغ الدم فليس تقية))[٧٦].

٤. قال أبو بصير: قال الإمام جعفر الصادق(ع):((التقية من دين اللّه))، قلت: من دين اللّه؟ قال:((إي واللّه من دين اللّه، ولقد قال يوسف:﴿**أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ**﴾[٧٧] واللّه ما كانوا سرقوا شيئًا،ولقد قال إبراهيم:(إني سقيم)[٧٨]واللّه ما كان سقيماً))[٧٩].

([٧٢]).الشيخ العياشي، محمد بن مسعود السمرقندي : تفسير العياشي،ج١،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت،١٩٩١م)، ص١٦٠،ح٥٣٤.

([٧٣]).من الآية(٢٨٦) من سورة البقرة .

([٧٤]).من الآية(١٠٦) من سورة النحل.

([٧٥]).الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق: الكافي، تحقيق مركز بحوث دار الحديث،(بيروت،)، ج٢ ،ص١٧٤ ،ح١٣.

([٧٦]).المصدر نفسه، ج٢ ،ص١٧٤ ،ح١٦.

([٧٧]).من الآية(٧٠) من سورة يوسف.

([٧٨]).من الآية(٨٩) من سورة الصافات.

([٧٩]).الشيخ البرقي، أحمد بن محمد بن خالد : المحاسن، دار الكتب الإسلامية، (طهران، ١٣٧٠هـ) ، ص٢٥٨ ،ح٣٠٣.

٥. روى بكر بن محمد عن الإمام جعفر الصادق(ع) أنه قال: ((إن التقية ترس المؤمن، ولا إيمان لمن لا تقية له))، فقلت له: جعلت فداك قول اللّه تبارك وتعالى: ﴿**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ**﴾[٨٠]؟ قال: ((هل التقية إلاّ هذا))[٨١].

٦. قال الإمام جعفر الصادق(ع) في حديث: ((إن جبرئيل(ع) نزل على رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم)فقال: يا محمد إنّ ربك يقرؤك السلام ويقول لك: إن أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرّتين، وإنّ أبا طالب أسرّ الإيمان وأظهر الشرك، فآتاه اللّه أجره مرّتين، وما خرج من الدنيا حتى أتته البشارة من اللّه بالجنة))[٨٢].

أما العلاقة مع الآخر والعنف(عدم استخدام الوسائل السلمية) فأن الغرائز المودعة لدى الإنسان تنقسم إلى غرائز إيجابية وغرائز سلبية، ولكل واحدة من هذه الغرائز استعمالات إيجابية واستعمالات سلبية. والعنف، من الغرائز السلبية، له استعمال إيجابي واستعمال سبلي: الاستعمال الإيجابي للعنف، الذي يكون من أبرز مصاديقه القصاص، الذي عبّر عنه القرآن: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ**﴾[٨٣]. والاستعمال السلبي للعنف الذي يكون من أبرز مصاديقه استعمال العنف في مقابل الكلمة، واستعماله في مقابل الفكر. قال الشيخ الطوسي:((...وإنكار

([٨٠]).من الآية (١٠٦)من سورة النحل.

([٨١]).الحميري، الشيخ عبد اللّه بن جعفر: قرب الاسناد، مؤسسة احياء التراث،(قم،١٤١٣هـ)، ص١٧.

([٨٢]).السيد شمس الدين ابو علي فخار بن معد الموسوي: الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب، ص١٧.

([٨٣]).من الآية(١٧٩)من سورة البقرة.

المذاهب الفاسدة لا يكون إلاّ بإقامة الحجج والبراهين والدعاء إلى الحق،وكذلك إنكار أهل الذمة))[٨٤].

ولو استطعنا أن ننشر ثقافة حذف العنف في مقابل الفكر والكلمة لدى شعوبنا وأعطيناها الحرّيات الكاملة في التفكير، لاستطعنا أن نضمن استمرار العلاقة مع الآخر السلبي مهما بلغت الفجوة بينهما[٨٥].

جاء في الحديث الشريف الذي يبين علاقة أهل البيت(ع) مع الآخر السلبي، والنهي عن استعمال العنف معه: روي أن رجلا من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يشتم علي بن أبي طالب(ع) إذا رأى موسى بن جعفر(ع)، ويؤذيه إذا لقيه. وكان قد قال له بعض حاشيته: دعنا نقتله، فنهاهم عن ذلك أشدّ النهي وزجرهم أشدّ الزجر. ثم مضى راكباً حتى قصده في مزرعة له، فتواطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعنا، فلم يصغ إليه، وأقبل حتى نزل عنده فجلس معه وجعل يضاحكه. وقال له: ((كم غرمت على زرعك هذا؟)). قال: مائة درهم. قال: ((فكم ترجو أن تربح؟)). قال: لا أدري. قال: ((إنما سألتك كم ترجو؟)). قال: مائة أخرى. قال: فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها لها. فقام فقبل رأسه. فلّما دخل المسجد بعد ذلك وثبت العمري فسلّم عليه وجعل يقول: (اللّه أعلم حيث يجعل رسالته)[٨٦]. فوثب أصحابه عليه وقالوا: ما هذا؟ فشاتمهم[٨٧].

([٨٤]).الشيخ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي: التبيان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي، ج٢،ص٥٦٦.

([٨٥]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

([٨٦]).أبو الفرج الأصفهاني، علي بن الحسين بن محمد : مقاتل الطالبيين، منشورات الشريف الرضي، (قم،١٤١٦هـ)، ص٤٩٩ – ٥٠٠؛ الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : تاريخ بغداد،ط١، دار الكتب العلمية،ج١٣، (بيروت،١٤١٧هـ)،ص٢٧ – ٣٢.

([٨٧]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

وكان بعد ذلك كلما دخل الامام موسى بن جعفر(ع) خرج يسلّم عليه ويقوم له. فقال الامام موسى الكاظم(ع) لحاشيته الذين أرادوا قتل العمري: ((أيما كان خيرًا: ما أردتم، أو ما أردت من أن أصلح أمره بهذا المقدار؟!))[٨٨]. وقال: إن صحّت فهذا غاية الحلم والسماحة[٨٩].

من أبرز المصاديق التي كانت ولا زالت محلاً للاعتراض على مسألة العلاقة مع الآخر، هي مسألة الجهاد في الإسلام، باعتبار أن هذا الحكم يتنافى مع حرية التفكير والمعتقد، ويعتبر المصداق البارز للعنف، وهو العائق الأساس أمام العلاقة مع الآخر. وقد روي أن عباد البصري لقي علي بن الحسين(ع) في طريق مكة، فقال له: يا علي بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته وأقبلت على الحج ولينه، إنّ اللّه عز وجل يقول:﴿**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**﴾[٩٠] ، فقال علي بن الحسين صلوت اللّه عليه: ((أتم الآية))، فقال: ﴿**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ**﴾[٩١]، فقال علي بن الحسين(ع):((إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد معهم أفضل من الحج))[٩٢].

وروى أبو عمرو الزبيري أنه قال: قلت للإمام جعفر الصادق(ع): أخبرني عن الدعاء إلى اللّه والجهاد في سبيله، أهو لقوم لا يحلّ إلاّ لهم ولا يقوم به إلاّ من كان منهم أم هو مباح لكل من وحّد اللّه عزّ وجل وآمن برسوله(صلى الله عليه وآله

([٨٨]).الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال،ط١، دار المعرفة للطباعة والنشر، ج٤،(بيروت،١٩٦٣م) ، ص٢٠١ – ٢٠٢.

([٨٩]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

([٩٠]).من الآية(١١١) من سورة التوبة.

([٩١]).الآية(١١٢) من سورة التوبة.

([٩٢]).الشيخ الكليني، المصدر السابق،ج٥،ص٢٢،ح١؛ الشيخ الطوسي: التهذيب، دار التعارف للمطبوعات، ج٦،(بيروت،١٩٩٢)، ص١٣٤، ح٢٢٥.

وسلم)؟ ومن كان كذا فله أن يدعو إلى اللّه عز وجل وإلى طاعته وأن يجاهد في سبيل اللّه؟ فقال: ((ذلك لقوم، لا يحلّ إلاّ لهم، ولا يقوم به إلاّ من كان منهم)). فقلت: من أولئك؟ فقال:((من قام بشرائط اللّه عز وجلّ في القتال والجهاد على المجاهدين فهو المأذون له في الدعاء إلى اللّه عزّ وجل، ومن لم يكن قائمًا بشرائط اللّه عز وجل في الجهاد على المجاهدين فليس بمأذون له في الجهاد والدعاء إلى اللّه، حتى يحكم في نفسه بما أخذ اللّه عليه من شرائط الجهاد..))[٩٣]. وقال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا علي، لا تقاتلن أحداً حتى تدعوه إلى الإسلام، وايم اللّه لئن يهدي اللّه عز وجل على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت، ولك ولاؤه يا علي))[٩٤].

أما طبيعة العلاقة مع الآخر في ضوء فتاوى التكفير فنجد انه لم يباعد المسلمين فيما بينهم، ولم يمزق الأمة الإسلامية، ولم يسبب النفرة والتنافر بين المسلمين، إلاّ تلك الفتاوى التي تصدر بين الحين والآخر، تكفر المسلمين، وتمزّقم اشتاتاً متباعدين متباغضين. العلاقة مع الآخر فيما بين المسلمين لا يقدّر لها النجاح ما لم نقف أمام هذه الفتاوى[٩٥].

إن فتاوى التكفير لا تستعملها إلاّ الفرق المتطرفة من بين فرق المسلمين، وهؤلاء هم الذي جرّوا الويلات على الإسلام والمسلمين على مرّ العصور، وكانوا السبب وراء الفتن الطائفية، ووراء العنف الذي يحدث بين المسلمين، والذي لا نشك أن أيادي أعداء الإسلام والمسلمين وراء كل هذه الفتاوى، لتجعل من المسلمين أمة متناحرة متنافرة ضعيفة، يمكن الاستيلاء على خيراتها وبركاتها بسهولة. ولابدّ لأصحاب الكلمة ومن بيدهم زمام الأمور من المخلصين ممن يدعون إلى الوسطية

([٩٣]).الشيخ الكليني، المصدر السابق،ج٥،ص١٣،ح١.

([٩٤]).المصدر نفسه،ج٥،ص٢٨،ح٤؛ الشيخ الطوسي: التهذيب،ج٦ ، ص١٤١،ح٢٤٠.

([٩٥]).فارس الحسّون، المصدر السابق.

في الإسلام ويريدون كل الخير لهذه الأمة، لابد لهم من عقد مؤتمرات مختصّة لمعالجة بادرة فتاوى التكفير والوقوف أمامها[٩٦].

أما فرقة السلفية فهناك مفصل هام في هيكلية الذهنية السلفية، وهو: انشداده إلى الماضي، وكرهه للحاضر وخوفه من المستقبل. فالزمن في الذهنية السلفية عبارة عن منحنى يبدأ من عهد النبوة، ثم ينحدر مع الأيام، ليصبح الأمس هو الأفضل على الاطلاق، والغد هو الأسوأ مقارنة بالماضي، واليوم هو مرحلة زمنية هي أسوأ من الماضي وأفضل من المستقبل. ودليلهم على ذلك بعض الروايات التي لا تخلو من مناقشة في السند والدلالة. وهذه الهيكلية، بالأخص (كرههم للحاضر) جعلت منهم أناسًا منغلقين على أنفسهم، لا يتعاملون مع الواقع العملي بمرونة، وجعلت علاقتهم مع الآخر من أسوأ العلاقات من بين فرق المسلمين. فلا نشاهد في معاملتهم مع الآخر المسلم ممن يخالفهم الرأي، إلاّ الشدّة والعنف الذي يصل في كثير من الأحيان إلى التكفير والاخراج من الشريعة، وبالأخص في الأماكن التي لهم فيها وجود وقدرة وقوة، تجد الآخر ممن خالفهم الرأي يواجه أنواع العنف والارهاب الفكري[٩٧].

وتجد غضب السلفيين أشدّ ما انصبّ على الشيعة، الذين سمّوهم بالرافضة ومجوس هذه الأمة، ويرى فريق من السلفيين أن الشيعة أكفر من اليهود والنصارى، وهناك فتاوى تكفيرية واضحة. وكذلك اشتد غضبهم على سائر الفرق الإسلامية التي لها مشتركات مع الشيعة، وكلما كانت مشتركات الفرق الإسلامية مع الشيعة أكثر كلما كان غضب السلفيين عليهم أشد، بالأخص الصوفية الذين يشكلون نسبة معتنى بها من بين المسلمين، والفرق الإسلامية التي تعتقد بالزيارة والتوسل، الذين عبّر عنهم السلفيون بالقبوريين، وأخرجوهم من الدين[٩٨].

([٩٦]).المصدر نفسه.

([٩٧]).المصدر نفسه.

([٩٨]).المصدر نفسه.

وأخيرًا، فإن الفكر المتجدد لم يسلم من غضب السلفيين، حتى أنهم أخرجوهم من الدين واعتبروهم كفاراً ملحدين. كل ذلك، يرجع إلى أنهم أغلقوا أبواب التفكير على أنفسهم، غافلين أو متغافلين عن أنه إذا كان أقرب الناس إلى رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم) قد اختلف في فهم مدلولات تعاليم الإسلام إلى درجة الاقتتال والتذابح، أفلا يبرر لنا ذلك شرعًا أن نختلف، وأن يعذر بعضنا بعضًا نتيجة لهذا الاختلاف، ونحن على بعد أكثر(١٤٣٨)سنة من عصر النبوة[٩٩].

أما العلاقة مع الآخر ومكارم الأخلاق فلا يخفى على أحد أهمية ترسيخ أصول مكارم الأخلاق في المجتمع ودورها في العلاقة مع الآخر، وذلك لأنه لا يمكن بدون مكارم الأخلاق أن نضمن الاستمرار في العلاقة مع الآخر، بالأخص في عصرنا الحاضر الذي ابتعدت مجتمعاتنا كل البعد عن المعنويات والأخلاقيات، وجعلت جلّ اهتماماتها بالماديات. وكلما استطعنا أن ننشر أصول مكارم الأخلاق في مجتمعنا، ونجعل المعنويات والأخلاقيات من الأمور الضرورية التي تتعايش معها مجتمعاتنا، كلما استطعنا أن نضمن العلاقة مع الآخر واستمرارها في أرفع مستوياتها.وسنشير إلى بعض روايات مكارم الأخلاق مما لها صلة بالعلاقة مع الآخر، المروية عن النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار(ع):

١. الاهتمام بأمور المسلمين. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((من أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس منهم، ومن سمع رجلًا ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم))[١٠٠].

٢. العلاقة مع الآخر.قال الإمام جعفر الصادق(ع): ((عليكم بالصلاة في المساجد، وحسن الجوار للناس، وإقامة الشهادة، وحضور الجنائز؛ إنه لابدّ لكم من الناس، إنّ أحداً لا يستغني عن الناس حياته، والناس لابدّ لبعضهم من بعض))[١٠١]. قال

([٩٩]).المصدر نفسه.

([١٠٠]).الشيخ الكليني ، المصدر السابق،ج٢،ص١٣١،ح٥.

([١٠١]).المصدر نفسه،ص٤٦٤،ح١.

معاوية بن وهب للإمام الصادق(ع): كيف ينبغي لنا أن نصنع فيما بيننا وبين قومنا من خلطائنا من الناس ممّن ليسوا على أمرنا؟ فقال(ع): ((تنظرون إلى أئمتكم الذين تقتدون بهم،فتصنعون ما يصنعون، فواللّه إنهم ليعودون مرضاهم، ويشهدون جنائزهم، ويقيمون الشهادة لهم وعليهم، ويؤدّون الأمانة إليهم))[١٠٢]. وقال أبان بن تغلب: قلت لأبي عبد اللّه(ع): ((إنّي أقعد في المسجد فيجيء الناس فيسألوني، فإن لم أجبهم لم يقبلوا منّي، وأكره أن أجيبهم بقولكم وما جاء عنكم، فقال لي: ((انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك))[١٠٣]. وقال الإمام جعفر الصادق(ع):((صلّوا في عشائرهم، وعودوا مرضاهم، واشهدوا جنائزهم، ولا يسبقونكم إلى شيء من الخير فأنتم أولى به منهم...))[١٠٤].

٣.العفو. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((ألا أُخبركم بخير خلائق الدنيا والآخرة: العفو عمن ظلمك، وأن تصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء اليك، وإعطاء من حرمك، وفي التباغض الحالقة، ولا أعني حالقة الشعر، ولكن حالقة الدين))[١٠٥]. وقال الإمام جعفر الصادق(ع): ((العفو عن القدرة من سنن المرسلين وأسرار المتقين، وتفسير العفو:أن لا تلزم صاحبك فيما أجرم ظاهراً،وتنسى من الأصل ما أصبت منه باطناً،وتزيد على الإحسان إحساناً))[١٠٦].وقال الإمام الصادق (ع) لعبد اللّه بن جندب:((يا بن جندب، صِل من قطعك، واعط من حرمك، وأحسن إلى من أساء إليك، وسلّم على من سبّك، وأنصف من خاصمك، واعف عمن ظلمك

([١٠٢]).المصدر نفسه،ص٤٦٤،ح١.

([١٠٣]).المصدر نفسه،ص٤٦٤،ح٤.

([١٠٤]).الشيخ الطوسي: رجال الكشي،ط١،مؤسسة النشر الإسلامي،ج٢،(قم،١٤٢٧هـ)، ص٦٢٢، ح٦٢.

([١٠٥]).الشيخ الكليني، المصدر السابق، ج٢،ص١٧٤،ح١١.

([١٠٦]).الشيخ المفيد: الأمالي،ص١٨٠،ح٢؛ الامام جعفر الصادق، مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي،(بيروت،٢٠١٣م)،ص٣٣٤.

كما أنت تحب أن يعفى عنك))[١٠٧]. وقال الإمام علي بن الحسين السجاد(ع) في قول اللّه عز وجل:﴿**فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ**﴾[١٠٨]،قال:((العفو من غير عتاب))[١٠٩]. وقال الإمام علي بن موسى الرضا(ع):((ما التقت فئتان قط إلاّ نصر أعظمهما عفواً))[١١٠]. وقال الإمام علي بن الحسين السجاد(ع):((إذا كان يوم القيامة جمع اللّه تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد، ثمّ ينادي مناد: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: وما كان فضلكم؟ فيقولون: كنّا نَصِل من قطعنا، ونعطي من حرمنا، ونعفو عمن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم، ادخلوا الجنة))[١١١].

٤. مداراة الناس . قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((أمرني ربي بمداراة الناس، كما أمرني بإقامة الفرائض))[١١٢].وقال الإمام جعفر الصادق(ع): ((أعقل الناس أشدّهم مداراة للناس، وأحزم الناس أكظمهم غيظاً))[١١٣].

٥. التودد إلى الناس. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((رأس العقل بعد الإيمان باللّه: التودّد إلى الناس، واصطناع الخير إلى كلّ برّ وفاجر))[١١٤]. وقال

([١٠٧]).الشيخ الحسن بن علي الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي ، بيروت، ص٢٢٥.

([١٠٨]).من الآية(٨٥) من سورة الحجر.

([١٠٩]).الشيخ الصدوق: الأمالي ، ص٢٧٦ ، ح١٤.

([١١٠]).الشيخ الكليني، المصدر السابق ،ج٢ ، ص٨٨ ، ح٨.

([١١١]).المصدر نفسه ، ح٤.

([١١٢]).الشيخ الصدوق: معاني الأخبار، دار المعرفة للطباعة والنشر، قم، ص٣٨٥ ، ح٢٠.

([١١٣]).الشيخ النيسابوري، محمد بن علي الفتال: روضة الواعظين، منشورات دليل ما،ط١، ١٤٢٣هـ، ص٣٨٠.

الإمام محمد الباقر(ع):((صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودّك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته))[١١٥].

وقال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم):((التودد إلى الناس نصف العقل))[١١٦].

٦ . كظم الغيظ. قال الإمام محمد الباقر(عليه السلام):((ما من جرعة يتجرعها عبد أحبّ إلى اللّه عزّ وجل من جرعة غيظ يردّها في قلبه، فردّها بصبر، وردها بحلم))[١١٧].

٧.الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم. قال الإمام علي بن أبي طالب(ع): ((ليجتمع في قلبك الافتقار إلى الناس والاستغناء عنهم: يكون افتقارك إليهم في لين كلامك وحسن سيرتك، ويكون استغناؤك عنهم في نزاهة عرضك وبقاء عزّك))[١١٨].

٨.كراهة الانقباض من الناس. عن داود بن أبي يزيد وثعلبة وعلي بن عقبة، عن بعض من رواه، عن أحدهما(ع)قال:((الانقباض من الناس مكسبة للعداوة))[١١٩].

٩.مجاملة الناس. قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): ((ثلاث يصفين ودّ المرء لأخيه المسلم: يلقاه بالبشر إذا لقيه، ويوسع له في المجلس إذا جلس إليه، ويدعوه بأحب الأسماء إليه))[١٢٠]، وقال الإمام جعفر الصادق(ع):((مجاملة الناس

([١١٤]).الشيخ الصدوق: عيون أخبار الرضا(عليه السلام)،ط١،انتشارات الشريف الرضي،ج٢، قم، ص٣٥،ح٧٧.

([١١٥]).الشيخ المفيد: الأمالي ، ص١٨٥.

([١١٦]).الشيخ الكليني، المصدر السابق،ج٢ ، ص٤٧٠ ، ح٤.

([١١٧]).الشيخ الطبرسي: مشكاة الأنوار في غرر الأخبار،ط١، دار الحديث، ص٢١٦.

([١١٨]).الشيخ الصدوق: معاني الأخبار،ص٢٦٧،ح١.

([١١٩]).الشيخ الكليني، المصدر السابق ، ج٢، ص٤٦٦،ح٥.

([١٢٠]).المصدر نفسه، ص٤٧٠ ،ح٣.

ثلث العقل))[١٢١]، وقال أيضًا(ع): ((من كفّ يده عن الناس فإنما يكف عنهم يدًا واحدة، ويكفون عنه أيدياً كثيرة))[١٢٢].

الخاتمة

١.إنّ الوسطية ليست مذهبًا أو اتجاهًا جديدًا في الإسلام وإنما خصيصة من خصائص الإسلام إذا أحسن فهمه، كما أنها ليست صفة ينبغي أن تحتكرها جماعة أو حركة أو حزب إسلامي بل ينبغي أن تكون صفة الأمة الإسلامية جمعاء حينما تكون في مستوى ما طلب منها، وقائمة بحق على ما أخرجت من أجله إلى الناس أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، وإقامة الشهادة بذلك كله على الناس من خلال إقامته في نفوس أفرادها وحياتهم الفردية والجماعية وفي مؤسساتها وأنظمتها.

٢.إن الوسطية أو الاعتدال تعني التوازن والعدل والسير في صراط الله المستقيم، ومن ثم لا يبغي أن نفهم من الوسطية التسيب والتساهل وإتباع الأهواء فمقياسها هو الشرع نفسه وأحكامه. كما أنها خصيصة ملازمة للإسلام في جميع مظاهره وتجلياته، في عقيدته وعبادته، في شريعته وأحكامه، في نظامه الاجتماعي ونظامه السياسي ونظامه الحضاري، وهي قبل هذا وذاك جهاد متواصل من أجل لزوم طريق الاستقامة والعدل، ولذلك أمرنا أن نستعين عليها بالدعاء الدائم المتكرر وذلك حين جعلت الفاتحة في كل ركعة من صلواتنا، وكان من آياتها: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ**﴾.

٣.إن فكر أهل البيت(ع)مثل خطًا معتدلًا في التعامل من الآخر من المسلمين وغير المسلمين ،إذ نجد تاريخهم مملوء بالروايات والأحاديث والأفعال التي تبين أهمية احترام الآخر والتعايش معه في مجتمع واحد تسودة الأخوة الإنسانية والعدالة

([١٢١]).المصدر نفسه، ص٤٦٩،ح٢.

([١٢٢]).المصدر نفسه، ص٤٧٠،ح٦.

والوسطية والعفو،والتسامح ،والتواصل مع الآخر حتى لو كان عدوًا أو مبغضًا لأهل البيت(ع)أو للمسلمين،والعمل على إعادته الى طريق الهداية والصلاح..، والابتعاد عن كل مظاهر العنف واتباع السلم طريقًا صالحًا للعيش الكريم وبما يكفل حقوق الناس جميعهم الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية ، مهما كانت دياناتهم وقومياتهم وقبائلهم.

٤.تواجه الأمة الإسلامية أخطار كبيرة لاسيّما من الفرق المتشددة والتي لاتؤمن بالتعايش المجتمعي السلمي مع الآخر، وتنتهج أسلوب القوة والعنف والارهاب لتنفيذ ايدلوجياتها المتطرفة التي أتت على العباد والبلاد الإسلامية بالويل والثبور فكفرت فرقًا إسلامية واستباحت الدماء والأموال للمسلمين وغير المسلمين،وهي بكل حال لاتمت للمنهج الإسلامي المعتدل لاسيّما منهج أهل البيت(ع) بأي صلة،ومن دون شك أنها تمثل أجندات أجنبية تريد ضرب الإسلام وتمزيق وحدة المسلمين من وراء ستار.والحل للتخلص من الغلو والتطرف هو العودة إلى تراث أهل البيت(ع)الذي يمثل الخط الوسطي في الإسلام ، وجعله منهجًا نظريًا وعمليًا ، وأسلوب للحياة لاسيّما والأمة الإسلامية تمر بمنعطفات خطيرة من تمزق وحدتها وتقاتل أبنائها فضلًا عن فتاوى التكفير والتهجير.

مصادر البحث ومراجعه

أولًا: القرآن الكريم

ت	رقم الآية	اسم السورة
١	من الآية(٦٤)	سورة آل عمران
٢	الآية(١٠٧)	سورة الأنبياء
٣	من الآية(١٥٧) ، الآية(١٨١)	سورة الأعراف
٤	الآية(١٤٣) ، من الآية(١٧٩)،الآية(٢٣٨) ، الآية(٢٥٦) ، من الآية(٢٨٦)	سورة البقرة
٥	من الآية(٨٥)	سورة الحجر

٦	من الآية(١٣)	سورة الحجرات
٧	من الآية (٤١) ، من الآية (٤١)	سورة يونس
٨	من الآية(٧٠)	سورة يوسف
٩	الآية(٦)	سورة الكافرون
١٠	الآية(١٨٩)	سورة المائدة
١١	الآيتين(٨-٩)	سورة الممتحنة
١٢	من الآية(١٠٦)	سورة النحل
١٣	الآية(١٣٥) ، من الآية(١٧١)	سورة النساء
١٤	الآية (٤٦)	سورة العنكبوت
١٥	الآيتين(٦-٧)	سورة الفاتحة
١٦	من الآية(٨٩)	سورة الصافات
١٧	الآية(٢٨)	سورة القلم
١٨	من الآية(٢٢)	سورة الروم
١٩	الآية(١٠)	سورة الرحمن
٢٠	من الآية(١١١) ، الآية(١١٢)	سورة التوبة

ثانياً: **الكتب العربية**

١.الإمام جعفر الصادق، مصباح الشريعة، مؤسسة الأعلمي،(بيروت،٢٠١٣م).

٢.الحميري، الشيخ عبد اللّه بن جعفر: قرب الاسناد، مؤسسة احياء التراث،(قم،١٤١٣هـ).

٣.السيد المرتضى، علي بن الحسين: المحكم والمتشابه.

٤.السيد شمس الدين ابو علي فخار بن معد الموسوي: الحجة على الذاهب إلى كفر أبي طالب.

٥.أبو الفرج الأصفهاني،علي بن الحسين بن محمد : مقاتل الطالبيين،منشورات الشريف الرضي، (قم،١٤١٦هـ).

٦.الشيخ البرقي، أحمد بن محمد بن خالد : المحاسن، دار الكتب الإسلامية،(طهران،١٣٧٠هـ).

٧.الشيخ الحسن بن علي الحراني: تحف العقول عن آل الرسول، مؤسسة الأعلمي ، بيروت.

٨.الشيخ الطبرسي، أبي الفضل: مشكاة الأنوار في غرر الأخبار،ط١، دار الحديث.

٩.الشيخ الطوسي، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي: الأمالي،ط١، دار الكتب الإسلامية، ج١.

١٠._____، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي: رجال الكشي،ط١،مؤسسة النشر الإسلامي، ج٢،(قم،١٤٢٧هـ).

١١._____، التبيان في تفسير القرآن، دار احياء التراث العربي،ج٢.

١٢._____، التهذيب، دار التعارف للمطبوعات، ج٦،(بيروت،١٩٩٢).

١٣.الشيخ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق: الكافي، تحقيق مركز بحوث دار الحديث، ج٢ ، ج٥،بيروت.

١٤.الشيخ المفيد ،ابي عبدالله: الأمالي، دار التيار الجديد– دار المرتضى .

١٥.الشيخ النيسابوري، محمد بن علي الفتال: روضة الواعظين، منشورات دليل ما،ط١، ١٤٢٣هـ.

١٦.الشيخ العياشي، محمد بن مسعود السمرقندي : تفسير العياشي،ج١،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، (بيروت،١٩٩١م).

١٧.الشيخ الصدوق، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين: الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم .

١٨._____، الأمالي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،(بيروت،٢٠٠٩م) .

١٩._____، معاني الأخبار،دار المعرفة للطباعة والنشر، قم.

٢٠._____، عيون أخبار الرضا(عليه السلام)،ط١،انتشارات الشريف الرضي،ج٢، قم.

٢١.الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : تاريخ بغداد،ط١، دار الكتب العلمية،ج١٣، (بيروت،١٤١٧هـ).

٢٢.الذهبي،شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان: ميزان الاعتدال،ط١،دار المعرفة للطباعة والنشر، ج٤،(بيروت،١٩٦٣م).

ثالثاً: المقالات والدراسات والموسوعات الإلكترونية

١.الإسلام دين الوسطية والاعتدال ، موقع الشيخ الدكتور يوسف جمعة سلامة،تاريخ النشر (٣٠/٥/ ٢٠٠٣م)، http://www.yousefsalama.com

٢.محمد يتيم، الوسطية والاعتدال، مركز صناعة الفكر للدراسات والأبحاث:
http://www.fikercenter.com

٣.موسوعة أنصار الحسين: http://www.ansarh.com/maaref_details.

٤.النظم الإسلامية: الموقع: http://elearning.uokerbala.edu.iq

5.فارس الحسّون،العلاقة مع الآخر في ضوء الوسطية في الإسلام ، مركز الأبحاث العقائدية:
http://www.aqaed.com

6.صاحب مهدي، نهج أهل البيت عليهم السلام وثقافة التعايش، موقع الشيرازي نت:
http://www.alshirazi.net/maqalat

7.الشيخ باقر شريف القرشي ، شرح العهد الدولي للإمام علي عليه السلام لواليه مالك الأشتر على مصر، موقع في رحاب نهج البلاغة الالكتروني : http://arabic.balaghah.net